النجف الاشرف والثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠

أ. د. صبري فالح الحمدي
الجامعة المستنصرية / كلية التربية

- المقدمة:

يتردد اسم مدينة النجف الاشرف عند استعراض التطورات السياسية التي شهدها العراق عبر مراحل تاريخه المختلفة، لمكانتها الدينية واثرها الثقافي الواضح في اوساط الرأي العام، وستحاول الدراسة تسليط الضوء على موقف النجف ودورها في الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، التي تعد منعطفا مهما في تاريخ بلادنا، لاعتبارات عدة، تأتي في مقدمتها، انها جاءت كرد فعل على سياسة التعسف والقمع وسلب الحريات التي مارستها السلطة البريطانية ضد العراقيين، فضلا عن فرضها ضرائب على الناس باشكال متعددة، واجبارها السكان القيام باعمال السخرة.

اقتضت ضرورة البحث تناول علاقة النجف باوضاع العراق السياسية منذ احتلال البريطانيين لاراضيه عام ١٩١٤، ومتابعة ردود الفعل الوطنية ازاء تلك الاحداث، ومحاولة معرفة دور النجف بوصفها المكان الذي كانت تتجه إليه انظار القوى الوطنية، فضلا عن ادراك السلطة البريطانية بالعراق لاهمية المرجعية الدينية في التطورات التي كان يشهدها، حتى يمكننا ملاحظة ظهور جمعيات واحزاب في المدينة ضمت رجال دين وتجار وطلاب المدارس الدينية، مما اعطى لتلك الفعاليات الثقافية تأثيرها المباشر على مسيرة الحركة الوطنية ومطاليبها في استقلال العراق.

ستتابع الدراسة ايضا وهو جوهر موضوعها النجف الاشرف والثورة العراقية الكبرى، ما ادته سياسة البريطانيين التعسفية من استياء شعبي ادى الى قيام ثورة العشرين، وكيف اسهمت النجف وباشكال كثيرة في دعمها عبر الفتاوى التي كانت تصدرها المرجعية الدينية، وقد شكلت زخما في مقاومة العراقيين لقوات الاحتلال البريطاني، فضلا عن انها اصبحت مركزا لتحرك القوى الوطنية وادامة الصلات بين

زعماءها والمدينة المقدسة، وهو الامر الذي سنحاول توضيحه في ثنايا هذا البحث، موثقا بالمعلومات التي تم عرضها من مصادر عدة مؤشرة في صفحاته.

- النجف الاشرف والاحتلال البريطاني حتى سنة ١٩١٩:

حينما قامت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ دخلت الدولة العثمانية فيها الى جانب المانيا، واخذت البلدان العربية التي كانت جزءا من هذه الدولة تدافع عنها، لكن اتباع سياسة التتريك دفعت العرب للثورة على العثمانيين، وكان اخراج الحامية العثمانية من النجف الاشرف في نيسان ١٩١٥ ، احدى نتائج تلك السياسة، وبقيت المدينة منذ ذلك التاريخ حتى آب ١٩١٧ مستقلة استقلالا ذاتيا يحكمها اهلها[١]. عن طريق اقامة حكومة محلية كان يديرها اربعة من النجفيين، هم: السيد مهدي السيد سلمان والحاج عطية ابو كلل، وكاظم صبحي ، والحاج سعد الحاج راضي وتميزت هذه المرحلة باستقلالية الادارة من نيسان ١٩١٥ الى آب ١٩١٧[٢].

وعلى اثر احتلال البريطانيين بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ ، الا انهم لم يتدخلوا في شؤون النجف ولم يسيروا جندا لاحتلالها، حتى اذا رسخت اقدامهم، اخذوا يتصلون بشيوخ النجف مقدمين لهم وعودا شتى، وما لبثوا ان ارسلوا الكابتن مارشال *(Captuin.M.Marshall* في مطلع عام ١٩١٨ ليقيم حاكما بين ظهرانيهم، غير ان النجفيين[٣] فاجأوا المحتلين بقتل مارشال في ١٩ آذار من السنة نفسها، معلنين الثورة لايمانهم ان النجف لا تحتمل الاحتلال الاجنبي ولا ترضخ لحكم المستعمر، مع تذمر السكان من تعنت الاداريين البريطانيين وكانت انتفاضة المدينة المشهورة عام ١٩١٨، وقد تأزمت الاوضاع في

١- عبد الله فياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٥، ص٢٢٠.

٢- جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، مطبعة الآداب، النجف ، ١٩٥٨، ص٣٤٤.

٣- اسس النجفيون جمعية النهضة الاسلامية، وهي جمعية سرية عملت على تخليص العراق من السيطرة البريطانية، وكان من بين اعضاءها السيد محمد علي بحر العلوم، والشيخ محمد جواد الجزائري، والشيخ محمد علي الدمشقي وغيرهم، نشرت دعوتها بين القبائل المحيطة بالنجف والكوفة وابي صخير والشامية، وانضم لها بعض زعمائها. عبد الرزاق الحسني، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٧٢، ص٢٣-٢٤.

النجف بعد الحصار الذي فرضه المحتلون على المدينة لمدة اربعين يوما، وقد تزعم رجال الدين والتجار وتلامذة المدارس الدينية حركة المقاومة الوطنية، مما دفع بالسلطات البريطانية الى القيام باعمال قمعية وقتل متعمد، اذ اقدمت على شنق احد عشر شخصا يوم ٣٠ ايار بعد محاكمتهم امام محكمة عسكرية بريطانية، ونفت اكثر من مائة شخص من وجهاء المدينة، كما حكم على خمسة اشخاص بالسجن المؤبد واثنان بالسجن لمدة اقصر ، فضلا عن فرض غرامات مالية على السكان، واسهمت هذه الاعمال في زيادة التذمر الشعبي من السياسة البريطانية بين صفوف الناس[١].

وكانت النجف من المراكز المهمة لبث افكار التحرر والتحريض ضد الادارة البريطانية في العراق، وكان النجفيون على صلة وثيقة لا بمعظم انحاء العراق فحسب، بل في العالم الخارجي ايضا، فيما اشتهرت المدينة في وجود عدد من المجالس التي اصبحت بمثابة ندوات للحركة الوطنية، مثل ندوة الشيخ جواد الجواهري، والشيخ عبد الكريم الجزائري، وندوة آل شبيب (الشيخين محمد رضا وباقر الشبيبيان) وآل الصافي ومن مشاهيرهم حينذاك السيد محمد رضا والسيد احمد الصافي النجفي الشاعر الشهير ، وادت هذه الندوات دورا في تقوية الصلة بين النجف وبين مراكز الحركة الوطنية الاخرى في بغداد وغيرها من انحاء العراق، الامر الذي انعكس ايجابيا في اتساع حالة الرفض للوجود البريطاني في البلاد[٢].

لذلك اهتم الكولونيل ارنولد. تي. ولسون*Arnold Wilson*) الحاكم الملكي العام في مدينة النجف لمعرفة رأي سكانها والمحيطين بها في مستقبل بلادهم، عبر استفتاء يتم تنظيمه بهذا الخصوص، فطلب من الميجر (نوربري) حاكم النجف والشامية في الاول من كانون الاول ١٩١٨[٣]، ان يدعو علماء النجف واشرافها وزعماء القبائل للاجتماع به ، فطالب شخصياتها، عبد المحسن شلاش، هادي الرفيعي، الشيخ محمد رضا الشبيبي ،

١- عبد الرحمن البزاز، محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٥٤، ص٣٢-٣٣.

٢- عبد الله فياض، المصدر السابق، صص٢٢٧-٢٢٨.

٣- صفحات من مذكرات السيد سعيد كمال الدين احد رجال الثورة العراقية ١٩٢٠، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٧، ص٢٥.

والشيخ عبد الواحد الحاج سكر بحكومة وطنية يرأسها ملك عربي مسلم من انجال الشريف حسين بن علي مقيدة بمجلس تشريعي رافضين حاكم اجنبي[١]، مؤكدين للحاكم البريطاني ان ارادتهم هي ارادة الشعب ، والشعب لا يتنازل عن اي جزء من ارادته، لاسيما بعد مطالبتهم السيد محمد كاظم اليزدي بالافتاء بشان التعامل مع البريطانيين، الذي قال لهم بعد الحاح (اختاروا ما هو اصلح للمسلمين)[٢].

ومع اطلالة سنة ١٩١٩ تبنى العمل للثورة وتزعم حركتها السرية رجال الدين وزعماء العشائر المسلحة، فضلا عن ظهور شخصيات عدة- لا مجال لذكرهم- اسهمت بالعمل في الحقلين السياسي والعسكري ، فيما كان القطب الذي دارت حوله الثورة الامام محمد تقي الشيرازي، الذي آلت اليه الزعامة الدينية بعد وفاتو الامام محمد كاظم اليزدي في ٣٠ نيسان ١٩١٩، وخلفه آية الله شيخ الشريعة[٣].

وقد ادت حادثة إلقاء القبض على ستة من الكربلائيين في الاول من تموز ١٩١٩ الرافضين للاحتلال البريطاني، الى اثارة استياء الامام الشيرازي الذي طلب من (ولسون) اطلاق سراحهم، ثم راح يبث الدعوة بين الناس في المطالبة باستقلال العراق بكل وسيلة ممكنة[٤]. وفي ٣ تموز من العام نفسه اسس عدد من رجال الدين وطلبة العلوم الدينية حزب النجف السري من : الشيخ عبد الكريم الجزائري ، والشيخ محمد رضا الشبيبي، والسيد سعيد كمال الدين والسيد محمد رضا الصافي، والشيخ محمد باقر الشبيبي، والسيد حسين كمال الدين ، والشيخ محمد جواد الجزائري، والسيد سعد صالح، والسيد احمد الصافي النجفي، والسيد محمد علي كمال الدين، والسيد يحيى الحبوبي والشيخ محمد علي الدمشقي، لاجل الحصول على استقلال البلاد العربية والاسلامية ولاسيما العراق، وشرع الحزب بالوصول الى هدفه بالتفاهم مع المرجعيات الدينية، ونجح بانضمام عدد من شيوخ

١- عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٥٢، ص٣٧-٣٨.

٢- نديم عيسى، الفكر السياسي لثورة العشرين، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٢، ص٨٣.

٣- حسن الاسدي، ثورة النجف على الانكليز او الشرارة الاولى لثورة العشرين ، وزارة الاعلام، ١٩٧٥، ص٢٦٧.

٤- عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، جـ١، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٩، ص٩١.

عشائر الفرات الاوسط وساداتها إليه ابرزهم: وليد علوان الياسري، والسيد كاطع العوادي، فضلا عن شيوخ آخرين هم: عبد الواحد الحاج سكر، وعلوان الحاج سعدون وغيث الحرجان وشعلان ابو الجون، وصار لحزب النجف مكاتب في بعض مدن العراق، ففي النجف اصبح محمد رضا الشبيبي رئيسا لمكتبه، وكان لهذه التنظيمات دور في تعبئة الناس نحو مقاومة الاحتلال البريطاني بالقوة، عبر تحركاتها في اوساط العشائر ، فضلا عن الافادة من المناسبات الدينية والقاء الخطب وتوعية الناس[١].

- النجف الاشرف والثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠:

على ان النجف قد عدت ، فضلا عن بغداد همزتا الوصل في تشكيل احداث ثورة العشرين وزادت الاتصالات بينهما وبقية انحاء العراق، وقد عقد اجتماع في ٢٠ نيسان ١٩٢٠ تقرر فيه ارسال هادي زوين ومحسن شلاش الى بغداد، ليقفا على قرار البغداديين من الحركة التي تقررت في الفرات الاوسط والتنسيق بينهما، وعقدا اجتماعا في دار حمدي بابان ، حضره محمد الصدر ويوسف السويدي وجلال بابان، فؤاد الدفتري، عبد الوهاب النائب ومحمد مصطفى الخليل ومحمد جعفر ابو التمن ورفعت الجادرجي، وغيرهم من اعضاء (جمعية حرس الاستقلال) اعربوا عن استعدادهم العمل سوية في سبيل الوطن، وبعد مفاوضات تقرر سفر جعفر ابو التمن الى النجف[٢]، حيث حضر اجتماعا خطيرا عقد في دار الامام الشيرازي في ٥ ايار ١٩٢٠، طرحت فيه فكرة القيام بالثورة المسلحة، ثم عاد زعماء الفرات الاوسط الى النجف، وابو التمن الى بغداد، فاجتمع باصحابه في ١٠ ايار ، واطلعه على ما سمعه او وقف عليه بنفسه، فتقرر اقامة حفلات للمولد النبوي في المساجد والجوامع المعروفة بحضور الشيعة والسنة، وجرت الاولى منها في جامع الحيدرخانة، التي شهدت اعتقال السلطة البريطانية الشاعر عيسى عبد القادر في ٢٦ ايار، بسبب إلقاءه قصيدة الهبت حماس الحضور، واعتبره البريطانيون

١- جميل موسى النجار، السيد كاطع العوادي ودوره في الحياة السياسية العراقية ١٩٠٨-١٩٤٥، المكتبة العصرية، بغداد، ٢٠٠٨، ص١٠٨.

٢- غسان العطية، نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، ترجمة عطا عبد الوهاب، دار اليوم، لندن، ١٩٨٨، ص٤٠٥-٤٠٧.

خطرا على الامن[١]، مما ادى لقيام اضراب ، وتشكلت لجنة من خمسة عشر عضوا لمفاوضة الحكومة البريطانية بشأن الاحداث وقدمت مطاليبها في عريضة للاخيرة، وفي اثناء ذلك ظهرت سيارتان مدرعتان في الشارع العام اخذتا تطلقا النار في الفضاء لارهاب المتظاهرين، فقتل رجل برصاص الطلق، فشيعه المتظاهرين[٢].

وعلى اثر انتشار رسالة الامام الشيرازي التي اصدرها الى الشعب العراقي المؤرخة في ٢٥ ايار ، المتضمنة حقهم بالتظاهر السلمي للحصول على الاستقلال، شهدت النجف اجتماعات عدة للعاملين في الحركة الوطنية، الاول في دار المرجع الديني الشيخ فتح الله شيخ الشريعة الاصفهاني الذي خلف الشيخ الشيرازي في المرجعية الدينية مساء الثاني من حزيران، وفي الاجتماع الثاني انتخبوا خمسة من بينهم على راسهم الشيخ عبد الكريم الجزائري لمطالبة السلطة البريطانية بحرية المطبوعات واقامة حكومة عربية مستقلة، تبع ذلك قيام السيد كاطع العوادي بنقل نشاط الحركة الوطنية من النجف الى الحلة، عن طريق حث الناس الى الاقتداء باهالي النجف وكربلاء وبغداد، وقراءة كتاب الشيرازي عليهم، الامر الذي اثار هياجا شعبيا ضد المحتلين هناك، فيما لبى المواطنون الدعوة التي وجهها الشيخ محمد رضا الشيرازي (نجل الامام محمد تقي الشيرازي) اقامة مظاهرات احتجاجية في كربلاء في صحني الحسين والعباس عليهما السلام يوم ٢١ حزيران ١٩٢٠، ألقيت فيها قصائد وطنية زادت من حماس الناس، مما دفع السلطات البريطانية الى اعتقال اثني عشر شخصا على رأسهم الشيخ محمد رضا الشيرازي، ثم نفيهم الى جزيرة هنجام في الخليج العربي، هذه التطورات غيرت من موقف الامام الشيرازي، فامر بجواز اللجوء الى القوة عند عدم نجاح المساعي السلمية[٣].

١- هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، جـ١، المكتبة العلمية، بغداد، ١٩٨٩، ص١٣١.

٢- لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص٥٦-٥٩.

٣- جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص١٣١-١٣٩.

ادى إلقاء القبض على الشيخ محمد رضا الشيرازي الى استياء شعبي كبير وتم عقد مؤتمرات لزعماء الفرات الاوسط، قرر المجتمعون فيها القيام بالثورة المسلحة[١]، وفي ٢٨ حزيران طالب زعماء النجف من الكابتن مانو *Captuin Mano*) ممثل الميجر (نوربري) الحاكم السياسي للنجف والشامية اطلاق سراح الشيخ الشيرازي ومن معه من المعتقلين، ومنح العراق استقلاله التام[٢]، لكن السلطات البريطانية رفضت ذلك، الامر الذي زاد من غضب الناس من سياسة القمع والاضطهاد التي كانت تمارس ضد زعماء الحركة الوطنية، ولجوئها الى التنكيل بهم، املا في اضعاف المقاومة العراقية لقوات الاحتلال[٣].

وفي الوقت الذي كانت فيه حواضر الفرات الاوسط تتمخض عن حوادث خطيرة، قام هيات *P.T.Hyatt)* نائب حاكم الرميثة باعتقال الشيخ شعلان ابو الجون رئيس عشيرة الظوالم في ٣٠ حزيران ١٩٢٠، مما دفع بعدد من رجال عشيرته الى اطلاق سراحه بالقوة من سراي الحكومة في الرميثة[٤]، فعد ذلك الحدث الشرارة الاولى للثورة العراقية الكبرى، وتمثل رد الفعل البريطاني في ارسال الميجر ديلي *Major C.D. Daly)* حاكم الديوانية السياسي قوة لتخليص حامية الرميثة من الحصار الذي فرضه الثوار من بني حجيم عليها، ولكنها لم تتمكن من فك الحصار ، ولم ترجع الحامية الى الديوانية الا في ٢١ تموز، بعد ان تكبدت خسائر فادحة، كما ان القبائل استطاعت ان تقلع قضبان السكة الحديدية في مواضع مختلفة من شمال المدينة المذكورة ومن جنوبها، وان توقع بالقوة المهاجمة اصابات عدة، فضلا عن طرد الحامية البريطانية في ابو صخير واخراج الكابتن (مان) وجنوده من الشامية[٥].

١- السيد محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، قدم له علي الخاقاني، مطبعة التضامن، ١٩٧١، ص٩٢.

٢- لمزيد من التفاصيل ينظر: كامل سلمان الجبوري ، النجف الاشرف والثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥، ص٨٦-٨٧.

٣- محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨١، ص٦٨.

٤- عبد الرحمن البزاز، المصدر السابق، ص٣٤.

٥- عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ص١٦٦.

ادت الشجاعة التي ابداها الثوار الى اثارة فزع السلطات البريطانية التي ظنت ان من يتولى قيادة ثورة الرميثة ويوجه حركاتها ويشرفون على ميادينها هم غير ابناء هذه العشائر، بل لعلهم كانوا من الضباط الاتراك المدربين، لما كان يمتاز به رجال (بني حجيم) من مهارة في القتال ومعرفة في فنون الحرب، تستوجب العجب والاستغراب من السلطات البريطانية و غيرها مما لا يعرفون حقيقة هذه القبائل ومراسها على السلاح والحرب، وما تتحلى به من شجاعة وعزيمة واستهانة بالموت، فضلا عن مرافقة النساء الرجال في تلك المعارك وهن يحملن العتاد والمال والزاد، فقد كانت احداهن تتحمل آلام فقد زوجها او ابنها او اخيها فلا يستولي الجزع عليها، فيسهل الموت على الرجال الذين كانوا يلاقون النار بصدورهم، ويقابلون المدافع والرشاشات بعصيهم وفولهم وخناجرهم، فاسهم ذلك في تأخر وصول النجدات الى القوات البريطانية، واشارت المصادر البريطانية الى ذلك بالقول :" ليس هناك امل في وصول النجدات الى الرميثة وكل اولئك كان الباعث على الفزع وهو الفزع لو تعلمون عظيم"[١].

وكانت الحكومة البريطانية تخشى مدينة النجف كثيرا بسبب مركزها الديني الواسع النطاق، وتأثير علمائها على جماهير الشعب، فقد كانت اول بلدة تحسست بثقل السلطة الاجنبية، واول مدينة عراقية فكرت بالتخلص من الاستعمار البريطاني، بالنظر لما كانت قد تشعبت لها من روح الحرية والنزوع الى الديمقراطية، بسبب ما كانت تلقاه من دروس متواصلة عن فلسفة نهضة الامام الحسين عليه السلام، بوصفها مهد العلماء ومركز الروحانية ، كما كان البريطانيون ايضا يخشون السطوة الحربية والشجاعة الفائقة التي كان يتمتع بها النجفيون، وقد لاقى المحتلون من سطوة النجفيين وشجاعتهم الويلات والشدائد ايام الثورة النجفية المشهورة عام ١٩١٨، وما لاقوه على ايدي البريطانيين من التنكيل والتعذيب والتشريد[٢]. فضلا عن اثر فتوى الامام محمد تقي الشيرازي التي اصدرها بعد احداث الرميثة المتضمنة اعلان الثورة المسلحة ضد سلطة الاحتلال البريطاني، وفيما ورد فيها الآتي: " مطالبة الحقوق واجبه على العراقيين ويجب عليهم في

١- نقلا عن: عبد الشهيد الياسري، البطولة في ثورة العشرين، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف، ١٩٦٦ ، ص١٩١-١٩٢.

٢- السيد محمد علي كمال الدين، المصدر السابق، ص٨٢.

ضمن مطالبتهم رعاية السلم والامن ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية اذا امتنع الانكليز عن قبول مطالبهم[١].

وعندما احس البريطانيون بامتداد والثورة الى الفرات الاوسط، انسحبوا من النجف، بعدها توجه حاكم النجف والشامية الى الكوفة ومعه كل افراد جيشه، تاركا حميد خان معاون حاكم النجف السياسي، مع بضعة افراد من الجنود بمعيته، وترأس علماء النجف وبعض ارباب العمل ورؤساء المحلات ادارة شؤون المدينة بينما كان ممثلوا السلطة البريطانية لا يبرحون دورهم ولا يصلون الى دورهم، فلا يباشرون بالتالي اية سلطة فعلية، في وقت ألقت فيه طائرتين بريطانيتين بعض المناشير التي تدعو النجفيين الى عدم اشهار السلاح في وجه الحكومة البريطانية، ورفض الانضمام للعشائر الثائرة، مما دفع الثوار الى طلاق النار عليهما، فكان رد فعلهم قويا، اذ بذل علماء النجف ومفكروها جهودا كبيرة في سبيل تنظيم الثورة وتجهيز المتطوعين الذين ارادوا الاسهام في المعارك الدائرة بين العشائر الفراتية والقوات البريطانية، عن طريق لجان اشرفت على شؤونهم، وقد خرجت الحملة الاولى وهي مؤلفة من (٣٠٠) محارب وتم عقد اجتماع كبير في الصحن الحيدري الشريف، ضم العلماء والطلاب والاعيان وسائر الجمهور، ثم خرج الجميع لتوديع المحاربين، وسط تعالي الاصوات بالتهليل والتكبير تشجيعا لهم، وكانت الحملة برئاسة السيد كاظم السيد علي ، تبع ذلك تحرك موكب الحملة الثانية من المتطوعين بزعامة السيد نعيم السيد رعد، وجرى لهم توديع مشابه، بعدها سافر موكب محلة العمارة، ثم موكب محلة المشراق، وموكب النجفيين المهاجرين من جبل حائل في نجد ثم موكب محلة البراق بمعية الحاج مطلق المعمار[٢].

وفي ٢٠ تموز كانت قد تجمعت في الكوفة حاميات النجف وابو صخير والشامية فضرب الثوار حصارا شديدا عليها استمر زهاء ثلاثة اشهر، وفي ٢٢ منه احتل الثوار قرية الكفل، وفي ٢٣ منه غادرت مدينة الحلة قوات كبيرة لاسترداد الكفل، وفك الحصار عن الجند البريطاني المحاصر في الكوفة، فقاتلها الثوار قتالا مميتا في الرارنجية

١- وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق الحديث، بغداد، ١٩٨٥، ص٣٧٩.

٢- السيد محمد علي كمال الدين، المصدر السابق، ص٨٢-٨٧.

(الرستمية) واسروا منها (١٦٠) مقاتلا، وقتلوا (١٨٠) وجرحوا (٦٠) جنديا[١]، وغنموا (٥٩) مدفعا ورشاشا ومدفعا آخر من عيار (١٨ بوند) استعملوه في اغراق الباخرة (فايرفلاي) التي ظلت تقاتلهم في شط الكوفة مدة من الزمن، وكانت النجف وكربلاء والمسيب وسدة الهندية قد اخليت من الجيش البريطاني فاحتلها الثوار، واقاموا حكومات محلية فيها استطاعت ان تؤدي خدمات ملموسة للسكان المحليين، وللثوار المقاتلين في سوح الجهاد[٢].

وشاء الله ان يختار لجواره الامام الشيرازي في ١٣ آب ١٩٢٠ فخلفه شيخ الشريعة الاصبهاني، فجاءت وفاته في غمرة انتصارات الثوار في وقت حرج بوصفه القطب الذي تدور حوله جميع ارجاء الثورة، التي اتسعت جنوبا الى الناصرية وشمالا الى المحمودية، واشتملت على اهم مدن الفرات، ثم قامت حكومات مؤقتة في اهم المدن التي احتلها الثوار عنوة، او اخلاها البريطانيون اضطرار استطاعت ان تحافظ على الامن والنظام[٣]، لكن الثورة لم تكن بلغت جميع مراحلها ولم تتمركز بعد، فاتجهت الانظار نحو مدينة النجف، وشخصت اليها وفود رجالات الثورة وحملة العلم من رجال الدين، فكانت النجف بمثابة مؤتمر عام اقيم لاختيار خلف للامام المتوفى، وقد خرج الى صحن الحضرة العلوية العلماء والزعماء ، ووقع الاختيار على (شيخ الشريعة) الذي :" حث الثوار على المضي في سبيلهم حتى يحكم الله بينهم وبين الانكليز الظالمين" الامر الذي اثار فزع السلطات البريطانية، فارسل (ولسون) الحاكم الملكي العام في العراق كتابا راجيا من المرجع الديني الدخول في مفاوضات لانهاء القتال، مذكرا بضعف مقاومة العراقيين للقوات البريطانية، فاخذت نشره بعد ان وزعته آلاف النسخ منه الطائرات البريطانية على جموع المحاربين في ميادين الثورة، فوجه شيخ الشريعة جوابا مفعما بالحماس الى (ولسون) رافضا الدخول في مفاوضات، ومنددا بسياسة الحصار والقتل التي يمارسها

١- قدرت مصادر تاريخية عدد قتلاهم بـ(٨٠٠) محارب. عبد الرحمن البزاز، المصدر السابق، ص٣٦.

٢- علي بازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد، ١٩٥٤، ص١٤٧-١٤٩.

٣- كامل سليمان الجبوري، المصدر السابق، ص١٢٤.

البريطانيون ضد الشعب العراقي، الامر الذي جعل البريطانيون يعتمدون على القوة وحدها للقضاء على الثورة[١].

وعلى اثر اجتماع رؤوساء العشائر في مضيف الشيخ مرزوك العواد احد شيوخ عشائر قضاء الشامية وهم: عبد الرزاق الحاج سكر، علوان الحاج سعدون، السيد محسن ابو طبيخ، مجبل آل فرعون، رايح العطية، السيد علوان السيد عباس الياسري، هادي الحنون، سلمان الظاهر، مزهر الفرعون، وبينما كانوا ينتظرون قدوم (الميجر نوربري) اذ جاءهم حاكم الشامية الكابتن مانو *Captuin Mano*) ومعه قوة من الشرطة و (الليفي) مؤلفة من (٤٠-٥٠) مسلحا، بغية الفتك بالزعماء، فقال (مانو) اراكم مستعدين، ما هذا السلاح الذي يحمله اتباعكم، ولاي غاية تريدون؟ فاجابه السيد نور الياسري ، حملناه لنحفظ به انفسنا من غدركم بنا ولنحقق به حقوقنا المشروعة ثانيا واخيرا ، فقال الحاكم: اما تخافون من حكومة بريطانيا التي اخافت العالم كله وانتم تريدون الاستقلال بوقت لا يساوي فيه عددكم واحد من الف من عدد اهالي هندستان، فاجابه عبد الواحد: نعم ان العراق قليل العدد بسكانه نسبة لسكان الهند، ولكنه كثير العدد لعزائم اهله وقوة بأس زعمائه واحقية طلبه، ويجب على حضرة الحاكم ان لا ينسى ان سكان العراق والعرب ليسوا كالهنود، ان العربي متى ما اعتدي على حقه اصبح شعاره اما الموت او اعادة الحق المغصوب، وان قوتنا اعظم من قوة بريطانيا، الا وهي قوة الايمان بالله، ويؤسفنا ان بريطانيا التي تقول وتدعي انها حاربت من اجل الحق تريد اليوم ان تقاوم حقنا، فسكت الحاكم ولم يجد ما يقوله"[٢].

ولعل في التحاق السيد عزيز الله من علماء النجف بالثوار مما يعزز الحماسة الوطنية التي تغلغلت في نفوس العراقيين، وكان يحمل بندقية ذات طلقة واحدة من النوع المعروف بـ(المعدل) و لديه من العتاد ما يقارب المائتي طلقة، وعندما هجم الثوار على المسيب كان في مقدمتهم واختار له مكمننا على ضفة النهر، وبقي هناك ما مر هندي

١- لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، جـ١، ص١٦٧-١٧٣.

٢- فريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٥، ص٩٨-٩٩.

بريطاني على الجانب الشرقي الا صوب اليه رصاصة ترديه قتيلا او جريحا، وحين طلب منه مغادرة المكان ليستريح، فأجاب لا ابرح مكاني حتى يردني كتاب من القائد العام عبد الواحد سكر، وحينذاك ذهب مزهر الفرعون (مؤلف الكتاب) الى مقر قيادة الثوار واخذ له كتاب من القائد ، حتى ترك مكانه الى الوند حيث مقر القيادة واستقبله رجال الثورة[١].

ومن الجدير بالذكر ان انتصار الثوار لم يقتصر على احتلال مدن الفرات الاوسط وطرد الحاميات البريطانية من معظم مناطقها، فقد اخليت سوق الشيوخ وقلعة سكر ، كما عزلت قصبة السماوة عن الطريق البرية، واستولى الثوار على دلتاوة وبعقوبة ومندلي وشهربان وخانقين في لواء ديالى، وسرعان ما سرت الثورة الى اللواءين : كركوك واربيل، كما اقدم جماعة ضاري رئيس قبيلة الزوبع على قتل الكولونيل لجمن (*Lieut Colonel Leachman*) في خان النقطة بين بغداد والفلوجة في ١٢ آب ١٩٢٠، فكان قتله ايذانا بالثورة التي اندلع لهيبها من الفلوجة الى عانة، حيث دحر البريطانيون في هذا اللواء ايضا[٢] مما الحق خسائر كبيرة بالقوات البريطانية خلال المدة من ايار الى آب ١٩٢٠، حتى اصبح البريطانيون امام مطلب الجلاء عن العراق، على اثر اتساع الثورة الى مدن عراقية كثيرة[٣].

ولما كان امد الثورة قد تجاوز الخمسة اشهر كان لزاما والحال هذه ان تهبط كميات المؤن لديهم، وان يتسرب الوهن الى قواتهم ، لاسيما ولم تأتهم امدادات ولا ذخائر ولا اموال، فضلا عن استخدام سلطات الاحتلال الطائرات والمصفحات في محاربة الثوار، الذين لم يكن في ايديهم غير البنادق والسيوف والمقاوير وبعض المدافع الرشاشة التي استولوا عليها في بعض جبهات القتال، ولولا العتاد الذي غنموه في واقعتي الرارنجية والعارضيات لما كتب لهم النجاح، فما ان انتهى شهر تموز عام ١٩٢٠ حتى اخذت القوات البريطانية تتوارد على العراق حتى قدرت بنحو فرقتين من الهند ، وانتقلت قيادتها من (كرند) في ايران الى بغداد فتعزز موقف الحكومة، وتكونت قوة النجدة

١- فريق مزهر الفرعون، المصدر السابق، ص٢٩٠.

٢- عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص١٢١.

٣- ل.ن. كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية، ترجمة عبد الواحد كرم، مطبعة الديواني، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٦٩.

البريطانية من (٤٨٨٣) بريطاني و (٢٤٥٨) هندي من السلاح الجوي ووحدات طبية ، فاخمدت نار الثورة في ديالى، وارجعت الفلوجة ، وفي ١٠ تشرين الاول تم الاستيلاء على سدة الهندية، وبعد يومين احتل البريطانيون طويريج بعد معارك ضارية مع الثوار، وكربلاء في ٢ تشرين الثاني ، ثم زحفوا نحو الكفل، فانسحب الثوار الى الكوفة[١]، فاصبح تسليم مدينة النجف الاشرف امرا مقررا، لاسيما وقد اصبحت عاصمة للثورة، فارسل (المجلس العلمي الاعلى) في المدينة مفوضين عنه الى مقر (اللواء ٥٥) عرض تسليمها، وتم توقيع عهد سلم بدون قيد او شرط في ٢٠ تشرين الاول ١٩٢٠، اعقبه حملة اعتقالات شنتها السلطات البريطانية ضد زعماء الحركة الوطنية، وتم اعتقال محسن شلاش، السيد عزيز الله، الشيخ حسن نجل شيخ الشريعة وغيرهم، ولم يفرج عنهم الا بعد اعلان العفو العام في ٣٠ ايار ١٩٢١[٢]، كما فرضت على النجف غرامات مالية، فضلا عن استلام البريطانيون كميات كبيرة من اسلحة الثوار وتم اطلاق سراح الاسرى البريطانيون، وكان عددهم (٧٩) بريطانيا و (٨٩) اسيرا هنديا، وكانت معاملتهم حسنة وصحتهم جيدة، فيما استمرت مقاومة الثوار في بساتين ابو صخير لمدة اسبوعين تقريبا، اذ هاجمتهم الطائرات البريطانية ملحقة بهم خسائر[٣].

وعلى الرغم من ان الثورة لم تكن مقتصرة على جهة معينة من العراق، بل كانت تشمل انحاء البلاد كافة، فهي ثورة شعب باكمله ضد المستعمر الغاصب والحقيقة ان ثورة العشرين اشترك فيها اكثر العراقيين، وكانت النجف الاشرف مركزا للنشاط السياسي ومقرا يجتمع فيه زعماء الثورة، فضلا عن دور المرجعية الدينية في دعم الثورة والدفاع عن حقوق الشعب والعمل على استقلال العراق من السيطرة البريطانية[٤].

١- كامل سلمان الجبوري، المصدر السابق، ص١٣٦-١٣٧.

٢- محمد مهدي البصير، المصدر السابق، ص١٦٧-١٧٧.

٣- عبد الرزاق الحسني، احداث عاصرتها، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ١٩٩٢، ص٣٣.

٤- مذكرات الحاج صلال الفاضل"الموح" من رجال الثورة العراقية ١٩٢٠، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦، ص٦٥.

- الخاتمة:

يمكننا استخلاص الامور الآتية:

١- اشر البحث حقيقة تاريخية مفادها ان هناك ارتباطا بين النجف الاشرف بكل ما تضمه من مجتهدين ورجال دين ومثقفين، بما يجري في مناطق العراق الاخرى في قصباته وقراه، فالمرجعية الدينية احتلت مكانة في التصدي لتطورات الاحداث المتعلقة بمقاومة الاحتلال البريطاني، اذ وصفت بالقطب الذي دارت حوله الثورة، فيما تعددت اوجه النشاط الوطني في المدينة، عبر ظهور شخصيات كان لها ثقلها الاجتماعي والثقافي والديني شاركت في العمل السياسي والعسكري الذي نتج عنه الثورة العراقية الكبرى.

٢- اتضح لنا وجود نشاط اتخذ طابع السرية حينا والعلنية حينا آخر، من خلال ظهور جمعيات وطنية ذات واجهات ثقافية كانت تستثمر المناسبات الدينية، لالقاء الخطب الحماسية لالهاب حماس الناس، باتجاه زيادة الرفض الشعبي للاحتلال البريطاني البغيض الذي الحق ضررا باقتصاد العراق وانتهك سيادته واستقلاله، وغدت النجف ملتقى لرجال الحركة الوطنية الذين كانوا على اتصال معها، للمشاورة وتبادل الرأي بشأن اوضاع بلادهم .

٣- تبين لنا ان دور النجف في الثورة العراقية الكبرى قد مر بمرحلتين: الاولى سلمية اتخذت شكل مظاهرات واحتجاجات، والثانية ذات طابع مسلح عندما نفذت الوسائل السلمية، فكانت المعارك التي خاضها الثوار ضد قوات الاحتلال، وما سطروه من شجاعة فائقة ابداها رجال القبائل قرابة الخمسة اشهر من وقائع الثورة، ومساهمة النجفيين في تلك المعارك الذين تطوعوا لمحاربة المحتل، وخروج الناس لتوديعهم، وسط تعالي الاصوات بالتهليل والتكبير تشجيعا للمقاتلين.

٤- كانت بريطانيا تشعر بقلق على وجودها في العراق في اثناء الثورة لادراكها مكانة النجف لدى العراقيين ونزوعها نحو الاستقلال، بوصفها مركزا دينيا ذات اهمية كبيرة ، وتأثير علمائها على عموم الناس، لذلك كانت السلطات البريطانية تتحسب في التعامل معها للاعتبارات التي اوردناها، وتلمسوا ذلك جليا في انتفاضة النجف عام ١٩١٨ وما قدمه اهلها من شهداء ، وصولا الى الثورة العراقية الكبرى التي اوجزنا بعض وقائعها بقدر صلتها بموضوع الدراسة، وكيف واجه الثوار باسلحتهم البسيطة آلة الحرب البريطانية المتفوقة.

المصادر

١- المذكرات الشخصية:

- السيد محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، قدم له علي الخفاجي، مطبعة التضامن، ١٩٧١.

- صفحات من مذكرات السيد سعيد كمال الدين احد رجال الثورة العراقية ١٩٢٠، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٧.

- مذكرات الحاج صلال الفاضل"الموح" من رجال الثورة العراقية ١٩٢٠، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦,

٢- الكتب العربية والمعربة:

- جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، مطبعة الآداب، النجف ، ١٩٥٨.

- جميل موسى النجار، السيد كاطع العوادي ودوره في الحياة السياسية العراقية ١٩٠٨-١٩٤٥، المكتبة العصرية، بغداد، ٢٠٠٨.

- حسن الاسدي، ثورة النجف على الانكليز او الشرارة الاولى لثورة العشرين ، وزارة الاعلام، ١٩٧٥.

- عبد الرحمن البزاز، محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٥٤.

- عبد الرزاق الحسني، احداث عاصرتها ، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٢.

- ــــــــــــــــ ، تاريخ العراق السياسي الحديث، جـ١، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٩.

- ــــــــــــــــ، الثورة العراقية الكبرى، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٥٢.

- ــــــــــــــــ، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٧٢.

- عبد الشهيد الياسري، البطولة في ثورة العشرين، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف، ١٩٦٦.

- عبد الله فياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٥.

- علي بازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد، ١٩٥٤.
- غسان العطية، نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، ترجمة عطا عبد الوهاب، دار اليوم، لندن، ١٩٨٨.
- فريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٥.
- كامل سلمان الجبوري ، النجف الاشرف والثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥.
- ل.ن. كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية، ترجمة عبد الواحد كرم، مطبعة الديواني، بغداد، ١٩٨٥.
- محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨١.
- نديم عيسى، الفكر السياسي لثورة العشرين، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٢.
- هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، جـ١، المكتبة العلمية، بغداد، ١٩٨٩.
- وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق الحديث، بغداد، ١٩٨٥.